



جودة الحياة: مفاهيم ومقاربات



This work is licensed under a
Creative Commons Attribution-
NonCommercial 4.0
International License.

الشرقي عبد الحليم أبو عبد الحق

دكتوراه في تخصص علم النفس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - سايس،

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٢١ يناير ٢٠٢٣

أو هيئة علمية. واستنادا إلى هذه النتائج يمكن في مثل هذا النوع من الدراسات تبني تعريف أو تصور وضعه فريق أو هيئة علمية كما هو الشأن بالنسبة لتعريف منظمة الصحة العالمية لمفهوم جودة الحياة لوضع تعريف إجرائي له يسعف الباحثين في القيام بأبحاث ميدانية ترصد واقع نوعية الحياة لدى الشرائح الاجتماعية والفئات العمرية في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

الكلمات المفتاحية: جودة الحياة، مفاهيم، مقاربات علمية

Abstract

This study aimed to distinguish between concepts that overlap and intersect with the concept of quality of life on the one hand, and to identify the nature of the approaches that dealt with the theme of quality of life on the other hand. For this, the comparative analytical approach was adopted, both

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى التمييز بين مفهوم جودة الحياة والمفاهيم الأخرى التي تتداخل وتتقاطع معه من جهة، ورصد ومقارنة مختلف المقاربات العلمية التي تناولت قيمة جودة الحياة من جهة ثانية. ومن أجل ذلك تم اعتماد المنهج التحليلي المقارن سواء على مستوى تقديم قراءة متعددة للمفهوم تركيبيا ودلاليا، أو على صعيد جرد مختلف المقاربات التي تناولت موضوع جودة الحياة تبعا لتخصص كل فرع علمي. وقد كان من نتائج هذه الدراسة أن التحديدات بشأن مفهوم جودة الحياة من حيث اللغة والدلالة والمقاربات جاءت بأوجه متعددة تبعا للسياق والمنظور العلمي الذي ارتضاه كل واحد من الباحثين والدارسين. ذلك أن مختلف تلك التحديدات لا تتمتع بالترابط والتناسق فيما بينها. ربما لأن ثمة مشكلة تتعلق بندرة العمل أو البحث الجماعي في إطار فريق أو مركز بحثي

المفاهيم التي تتقاطع معه كالرضا عن الحياة والصحة النفسية... من جهة، واكتشاف طبيعة المقاربات التي تناولت الموضوع من مختلف الزوايا العلمية من جهة ثانية. وهذا العمل سيمكن من الإسهام في التحديد الإجرائي لمفهوم جودة الحياة، بشكل ييسر القيام بأبحاث ميدانية عبر وضع مؤشرات ملموسة قد تبني عليها استمارات أو مقاييس لجمع بيانات إحصائية من عينات تم شرائها اجتماعية وفئات عمرية مختلفة.

* مشكلة البحث وأسئلتها وفرضياتها

تدور إشكالية هذا البحث حول مفهوم جودة الحياة والمفاهيم المرتبطة به، ومختلف المقاربات العلمية التي تطرقت إليه. فما مفهوم جودة الحياة؟ وما المفاهيم التي تتقاطع معه؟ وما هي المقاربات التي تناولت موضوع جودة الحياة؟ ويتوقع من خلال هذه الدراسة وجود تعدد للتحديدات اللغوية والاصطلاحية، كما سيتم التعرف على حقول علمية تناولت مفهوم جودة الحياة.

* أهمية وأهداف الدراسة

تأتي هذه الدراسة في إطار استئناف إنجاز بعض المشاريع البحثية التي تعذر على الباحث القيام بها، والتي لم تعط حقها خلال مرحلة إعداد أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه¹. كما تتجلى أهمية هذه الدراسة في لفت الانتباه إلى حساسية مفهوم جودة الحياة في عصر يشهد تعقد الحياة وتسارع الأحداث. وسيكون من ثمرات هذا البحث الإسهام في وضع

at the level of the structural and semantic definitions of the concept, or at the level of various scientific approaches that dealt with the issue of quality of life. This study revealed the existence of multiple definitions of the concept of quality of life according to the scientific specialization of the researchers. However, the various definitions are not coherent and consistent with each other. Because there may be a problem related to the limited work on the theme of quality of life in the framework of a research center or scientific council. Based on these results, it is possible in this type of studies to adopt a definition developed by a scientific team or council, as is the case with the World Health Organization's definition of the concept of quality of life.

Key words: Quality of life, concepts , scientific approaches

* مقدمة

يتمحور موضوع هذه الدراسة حول جودة الحياة والمفاهيم المرتبطة به والمقاربات التي تناولته خاصة العلوم الإنسانية. بالإضافة التي سيقدمها هذا البحث هي الجمع بين التحديد اللغوي والاصطلاحى لمفهوم جودة الحياة وبعض

¹ عبد الحليم الشرقي، التدبير وتأثيره في جودة الحياة دراسة ميدانية (جامعة سيدي محمد بن عبد الله سايس، فاس: رسالة دكتوراة غير منشورة، 2021).

تعريف إجرائي لمفهوم جودة الحياة كأرضية للبحث الأكاديمي الميداني.

* محددات الدراسة

تبقى نتائج هذه الدراسة نسبية بالنظر إلى السياق الذي أُنجزت فيه. إذ يتعلق الأمر باستئناف مشاريع بحثية لم يتيسر التطرق إليها بشكل مفصل، خاصة خلال فترة إعداد الباحث لأطروحته لنيل شهادة الدكتوراه.

* المنهجية

١- مفهوم جودة الحياة (Quality Of Life)

درجت الأبحاث باللغة العربية على تداول مصطلح "جودة الحياة" بكثرة في مقابله الأجنبي (Qualité de vie) أو (Quality of life). وبالرجوع إلى بعض المعاجم نجد أن لفظة "جود" في معجم لسان العرب تشير إلى أن "الجيد: نقيض الرديء... والجمع جيد، وجيادات جمع الجمع؛ أنشد ابن الأعرابي: كَمَ كَانَ عِنْدَ بَنِي الْعَوَامِ مِنْ حَسَبٍ، وَمِنْ سِيُوفِ جِيَادَاتٍ وَأَرْمَاحٍ. وَفِي الصَّحَاحِ فِي جَمْعِهِ جِيَائِدٌ، بِالْهَمْزِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ. وَجَادَ الشَّيْءُ جُودَةً وَجُودَةً أَيْ صَارَ جَيِّدًا، وَأَجَدْتَ الشَّيْءَ فَجَادَ، وَالتَّجْوِيدُ مِثْلُهُ. وَقَدَّ قَالُوا أَحْجُودَتْ كَمَا قَالُوا: أَطَالَ وَأَطْوَلَ وَأَطَابَ وَأَطَيْبَ وَأَلَانَ وَأَلَّيْنِ عَلَى النُّقْصَانِ وَالتَّمَامِ"². ونجد في القاموس المختار "جاد يجود جُودَةً وَجُودَةً: صار جيدا.

وأجاده غيرهُ وجاد وأجاد: أتى بالجيد. واستجاده: وجده جيدا"³. ولكلمة "جودة" علاقة بلفظة "نوعية" والتي تعني "نوعية الشيء: صفته وكيفيته"⁴. ولولا شيوع استعمال مصطلح جودة الحياة في الأبحاث والأدبيات العربية والإسلامية، لكان من الأحرى أن يستعمل مصطلح "نوعية الحياة" بديلا في هذه الدراسة، نظرا لكون معنى "الجودة" قد يدل على أعلى مراتب الرفاه في الحياة. كما أن من معاني نقيضه ما يدل على الرداءة. كما نجد في بعض المعاجم الأجنبية معان تقارب نوعا ما الدلالات السابقة لمفهوم "الجودة"، كمعجم (Quillet) الذي وردت فيه بعض معاني كلمة (Qualité) والتي تدل على الهيئة التي يكون عليها الشخص أو الشيء، وهي هيئة جيدة وذات قيمة (valeureuse). وفي معنى آخر تدل اللفظة على ما هو جيد أو قبيح لشخص أو لشيء..."⁵. كما أنه لم يحصل اتفاق بشأن وضع تعريف معين لمفهوم "جودة الحياة"، رغم تزايد الاهتمام بهذا المفهوم في بعض المجالات العلمية ذات الطابع التجريبي كالتطب مثلا. غير أنه أمكن مقارنة مفهوم "جودة الحياة" من خلال توجه ينظر إليه في أبعاده الشمولية وبنياته الوظيفية: العاطفية والجسدية والمعرفية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ويرى البعض أن البحث في موضوع جودة الحياة ينهج في الغالب التقليد الطبيعي خاصة في المقاربة الطبية. أي التركيز

² جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، 1 (1) éd., vol. 1، تونس: دار المتوسطة للنشر والتوزيع، (2005).

³ الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس (الدار العربية للكتاب، (1983).

⁴ مسعود جبران، معجم الرائد في اللغة والإعلام، 1 (1) éd. بيروت: دار العلم للملايين، (2003).

⁵ Dictionnaire Quillet de la langue française, vol. 4, 4 vol. (Paris: Librairie Aristide Quillet, 1975).

العزیز: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ (سورة النحل: 97).

أ- الرضا عن الحياة (Life Satisfaction)

ظهر موضوع "الرضا عن الحياة" (LS)، في الفكر الغربي مند العصور القديمة. لأن هذا المفهوم كما يرى عالم النفس الاجتماعي فينهوفن (Veenhoven) يتفرع عن مفهومه الأصلي السعادة (Happiness) الذي جرى تداوله بمعان مختلفة وتعدد النقاش العلمي بشأن مكوناته. غير أنه خلال القرن التاسع عشر طغت الضباية على هذا المفهوم وباقي المفاهيم المرتبطة به كـ "الرضا عن الحياة"⁷. فمفهوم "الرضا" مفهوم يرتكز على التفكير الإيجابي والرضا عن العمل والصحة الجيدة والعلاقات الإيجابية، خاصة العلاقات الاجتماعية التي تعد في الكثير من الأحيان إحدى مصادر جلب السعادة والتخفيف من العناء. ويميز بعض الدارسين بين نوعين من جودة الحياة: جودة الحياة الخاصة وجودة الحياة العامة. وينحاز هؤلاء الدارسين بشكل كبير إلى ضرورة الاهتمام بجودة الحياة لدى الفرد، حتى تيسر معرفة رضا الفرد أو عدم رضاه عن مجالات حياته المختلفة، ومدى

بالأساس على الجوانب المادية التي هي من مقتضيات الحياة الطبيعية. وعلى الرغم من الطابع التقليدي لهذا التوجه فإنه يظل بدوره، بحسب بعض الدارسين، محاطا بالإبهام والغموض. وفي المقابل هناك توجه آخر يقوم على أساس التفكير التأملي الذي يرتكز على ما من شأنه أن يضفي قيمة على حال الفرد ويجعل حياته مفعمة بالمعنى، وذلك من خلال ممارسة الفهم والتأويل في محيط الفرد المحكوم بالسياق التاريخي والاجتماعي⁶. ومعلوم أن دراسة الظواهر الإنسانية المعقدة تقتضي توجهها متوازنا ومرنا يعتمد رؤية شمولية تدمج كل الرؤى، وعدم تبني مقاربة دون أخرى من خلال الأخذ بعين الاعتبار كل العناصر التي تشكل شخصية الفرد، وذلك بعدم إغفال الجانبين المادي أو الروحي في الحياة الإنسانية. ولا ريب أن هذا التوجه المتوازن سيسهم في تطوير دراسة مفهوم "جودة الحياة" في الحاضر والمستقبل.

٢- مفاهيم مرتبطة بجودة الحياة

يتداخل مفهوم جودة الحياة مع بعض المفاهيم الأخرى كـ "الرضا عن الحياة"، و"الصحة والنفسية"، أو ما يمكن أن نصلح عليه في ثقافتنا الإسلامية بـ "الحياة الطيبة" وفق ما جاء في كتابه

novembre 1995): 1411-15,
[https://doi.org/10.1016/0277-9536\(95\)00123-O](https://doi.org/10.1016/0277-9536(95)00123-O).

⁷ Ruut Veenhoven, *Conditions of happiness* (Springer Science & Business Media, 2013).

⁶ Raben Rosenberg, « Health-Related Quality of Life between Naturalism and Hermeneutics », *Social Science & Medicine*, Quality of Life in Social Science and Medicine, 41, n° 10 (1

شعوره بالسعادة⁸. وإذا تتبعنا مفهوم الرضا في القرآن الكريم بصوره المختلفة في العديد من آيات الله بألفاظ: رضا- رضوان- مرضات- رضي- رضوا- ترضا -ترضون- يرضين، يمكن أن نجد معنى "الرضا" على وجهين: الرضا المحمود كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ (سورة التوبة: 59). والرضا المذموم كما جاء في بعض المواطن من كتابه عز وجل: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۗ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة التوبة: 202). وهكذا تم تداول مفهوم جودة الحياة إلى جانب مفهوم الرضا عن الحياة. وكلا المفهومين يقتضيان بالأساس وجود الشروط اللازمة لكي يحيا الفرد حياة طيبة. كما ظهرت مصطلحات أخرى ذات الصلة مثل "السعادة الوجدانية الذاتية" (Subjective emotional happiness). ويعتبر هذا المصطلح من أهم مفاهيم علم النفس الإيجابي الذي يسميه البعض بالهناء الشخصي⁹. ذلك أن تحقق رضا الإنسان يمر عبر الرضا عن الحياة بتبني الاتجاه الوجداني الإيجابي التفاؤلي، وبند كل ما له علاقة بالاتجاه الوجداني السلبي التشاؤمي. فالوجدان الإيجابي يعتبر بمثابة تجربة الفرد في الحياة عندما يعيش الفرح ويحس بالقناعة وينتابه شعور بالزهو والافتخار. إذ يتأتى الشعور

بالسعادة من خلال الإقبال على الحياة والاستمتاع بها، وتوقع الخير منها وبذل الجهد من أجل التغلب على إحباطاتها. أما الوجدان السلبي فهو مجمل ما يخالج النفس حينما يفعل الإنسان غضبا أو يتألم حزنا أو يؤرقه حزني الذنب¹⁰. والرضا عن الحياة هو تقبل الفرد لذاته وأسلوب الحياة في المجال الحيوي الذي يحيط به. فهو متوافق مع ربه وذاته وأسرته، وسعيد في عمله، متقبل لأصدقائه وزملائه، راض عن إنجازاته الماضية، متفائل بما ينتظره من مستقبل، مسيطر على بيئته... فهو صاحب القرار، وقادر على تحقيق أهدافه¹¹.

ب- مفهوم الصحة النفسية (Mental Health)

تعد الصحة النفسية ذلك التوجه العلمي الذي ينهل من خدمات علم النفس الإيجابي خاصة في مجال العلاج النفسي. والصحة النفسية كما يعرفها مصطفى كامل في معجم "علم النفس والتحليل النفسي" أنها من جهة النضج الذي يبلغه الفرد في التوافق مع المحيط الخارجي. ومن جهة ثانية إدراكه لذاته وتوظيفها توظيفا إيجابيا في إشباع حاجاته¹². ويمكن تعريف الصحة النفسية أيضا بحسب حامد زهران بأنها: "حالة دائمة نسبيا يكون فيها الفرد متوافقا نفسيا (...). ويشعر بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين ويكون قادرا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته وإمكاناته إلى حد ممكن، ويكون قادرا على مواجهة مطالب الحياة، وتكون شخصيته

⁸ جوان إسماعيل بكر، جودة الحياة وعلاقتها بالانتماء والقبول

الاجتماعيين (دار الحامد للنشر والتوزيع، 2013).

⁹ نبيل محمد الفحل، مقياس الرضا عن الحياة للمراهقين المكفوفين

(القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2016).

¹⁰ الفحل.

¹¹ الفحل.

¹² فرج عبد القادر طه، معجم علم النفس والتحليل النفسي، 1 éd. 19

(بيروت: درا النهضة العربية للطباعة والنشر، 2013).

يتم فيها عزل صاحبه، وبين حالة السواء المقترنة بالمسؤولية والمحاسبة. ويفترض الباحث أن هناك جذورا تاريخية هي التي سمحت باستخدام "الصحة العقلية" في مقابل "الصحة النفسية" في الأدبيات الغربية، عكس الأدبيات العربية التي كانت أكثر شمولية عندما اعتبرت العقل متضمنا في النفس. وما دام الأمر يتعلق بالجانب النفسي فإن مناهج دراسة سبل تحقيق صحتها وسلامتها يقع على عاتق الباحثين والخبراء في العلوم ذات الصلة بالحقول السيكلوجي¹⁵. وإذا كان من مهام الدرس السيكلوجي في هذا المجال أن يعمل على استكناه الطاقات البشرية المنتجة وتحليلها وتشخيصها واستجلاء آليات اشتغالها وتأهيلها فينبغي التأكيد على ما يمكن أن يتحقق من مكاسب في هذا المجال باعتماد التنوع في المقاربات. ولم لا المقاربة الدينية¹⁶ مادام ديننا الحنيف جاء رحمة للعباد بوظائفه السيكلوجية المختلفة؟ فلقد كان من ضمن مقاصده الكلية الحفاظ على النفس برعايتها حتى تحافظ على حيوية العطاء وجودته، وحفظها من كل ما قد يبدد طاقتها. إن مفهوم الصحة النفسية حسب ما أمكن استنتاجه مما سلف مفهوم لا يقتصر على الخلو من الأمراض والاضطرابات النفسية، وإنما قد تجاوز ذلك إلى اعتبار أن صحة نفس الشخص تنبني أساسا

متكاملة سوية، ويكون سلوكه عاديا ويكون حسن الخلق بحيث يعيش في سلامة وسلام¹³. ويرى الباحث عبد العزيز القوصي أن معنى الصحة النفسية هو ما يظهره الفرد من تكيف مع واقع بيئته. وينعت هذا النوع من التكيف بالتكيف النفسي. مقيما بذلك مماثلة بين الصحة الجسدية والصحة النفسية باعتماد ثلاثة مناهج: الوقائي والإنشائي البنائي والعلاجي. فإذا كان من الضرورة العناية بالصحة الجسدية من خلال نمج أسلوب يقوم على وقايتها من الأمراض وتنميتها وبنائها بالغذاء وعلاجها من كل داء يلحقها فمن الواجب أيضا تعهد الصحة النفسية بما يعمل على وقايتها من المشاعر السلبية ويكسبها ميلا لتطوير المشاعر الإيجابية، والتدخل عندما تسقط النفس فريسة لمشاعر الإحباط والقلق واليأس¹⁴. وقد نجد في بعض الكتابات تداولاً لمفهوم الصحة النفسية على سبيل الترادف مع مفهوم آخر وهو الصحة العقلية. فما الفرق بين المفهومين؟

يستعرض مصطفى حجازي السياق الذي تم فيه نقل مصطلح "الصحة النفسية" من البيئة الفكرية الغربية إلى حضيرة الفكر العربي. فيذكر أنه عند استيراد العالم العربي للقوانين الوضعية كان هناك تمييز بين حالة المرض العقلي التي

¹⁶ عبد الحليم الشرقي، «الوظائف السيكلوجية للدين في حياة الإنسان المعاصر»، المجلة الدولية لنشر البحوث والدراسات، n° 4، 37 (2022): 241-54، <https://doi.org/doi.org/10.52133/ijrsp.v4.37.19>.

¹³ حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، éd4^e (القاهرة: عالم الكتب، 2005).

¹⁴ عبد العزيز القوصي، أسس الصحة النفسية، éd. (4) القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1952).

¹⁵ مصطفى حجازي، الصحة النفسية، (2) éd. (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، s. d.)،

على الثقة في النفس، والعيش في كنف علاقات اجتماعية سوية، والقدرة على تحمل المسؤولية عند مجابهة الظروف الصعبة بكفاءة وفعالية ومرونة.

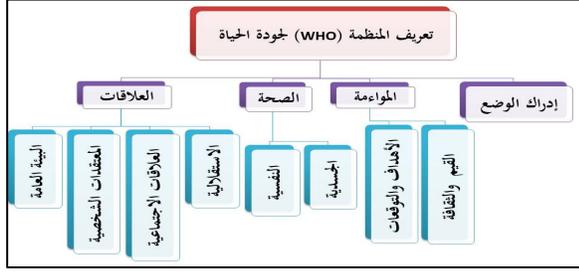
٣- مقاربات علمية لجودة الحياة

يرى بعض الدارسين أنه ثمة صعوبات تواجه تعريف جودة الحياة، منها صعوبة تحديد الأسئلة المناسبة لقياس جودة الحياة لدى الفرد، نظرا لكون الاختلاف في صياغة الأسئلة حول الموضوع يؤدي إلى الاختلاف في النتائج. كما أنه لا يمكن إغفال الإكراه المتعلق بالجانب المنهجي للمتخصصين في كل مجال من المجالات العلمية المختلفة. فأهل كل فرع علمي يتحيزون للتعريف الذي يضعونه من وجهة نظر تخصصهم، بالشكل الذي يجعلهم يعتبرون أن دراسة هذا المفهوم حكرا عليهم¹⁷. وهكذا استأثر مفهوم جودة الحياة باهتمام الدارسين من مختلف التخصصات العلمية كالعلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية. حيث نشطت الدراسات بشأنه في تخصصات الاقتصاد والإحصاء لما عالجته هذه الدراسات مجالات جودة المنتج الصناعي الذي حقق نوعا من رفاهية الأفراد بفضل التقدم العلمي والتكنولوجي، وما تحقق من وراء ذلك من رخاء اقتصادي. كما حظي مفهوم جودة الحياة بالدراسة من لدن الأبحاث في علم الاجتماع وعلم النفس التي قاربت مؤشرات جودة الحياة لدى بعض الفئات الاجتماعية كذوي

الاحتياجات الخاصة أو فئة المراهقين أو الراشدين أو طلبة المدارس والمعاهد والجامعات. ومن جانب آخر فقد تناول المجال الصحي الطبي مفهوم جودة الحياة لدى المصابين ببعض الأمراض المزمنة من قبيل مرضى السكري والصحة النفسية. وتجدد الإشارة إلى أن بعض الدارسين قد أكدوا على تزايد الاهتمام بهذا المفهوم نظريا وميدانيا في المجالات الاجتماعية. كما يرى آخرون أن الغرض من دراسة جودة الحياة هو تحسين الحالة الصحية والنفسية عن طريق تنمية الذات والتفاؤل ومعنى الحياة والرضا عنها بفضل اعتماد برامج وقائية وعلاجية¹⁸. ويستنتج من ذلك أن جودة الحياة مفهوم ذو بعد كمي يتعلق بمدى وفرة متطلبات العيش الكريم وكذلك مفهوم ذو بعد كفي يتعلق بمدى الرضا والقبول من جانب الأفراد والمجتمعات بما توفره الظروف الاقتصادية والاجتماعية من رفاه ورخاء¹⁹. ويضيف آخرون عنصرا هاما عند تحديدهم لهذا المفهوم ويتعلق بالتربية والتكوين. هذا العنصر على حد تصورهم من أهم عناصر جودة الحياة ومن أهم مداخلها. فكلما كان هناك اهتمام بجودة التعليم انعكس ذلك بشكل إيجابي على حياة المتعلمين والطلاب لتحقيق مستوى أفضل من حريجي الجامعات والمعاهد وتحقيق حاجيات سوق العمل والمجتمع والقدرة على التكيف مع متغيرات الحياة²⁰. ويبدو أن مفهوم جودة الحياة عندما أخذ قسطا وافرا من الدرس

¹⁹ عبير بنت عبد الله الشريف، جودة الحياة لدى مرضى السكري، 1^ة éd. (1) الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، (2017).
²⁰ بكر، جودة الحياة وعلاقتها بالانتماء والقبول الاجتماعيين.

¹⁷ محمد حلمي خلف حمدان، قياس جودة الحياة لدى الأشخاص ذوي الإعاقة، وتأثير بعض المتغيرات الديموغرافية عليها (مصر: دار نشر يسطرون، 2018).
¹⁸ بكر، جودة الحياة وعلاقتها بالانتماء والقبول الاجتماعيين.



رسم توضيحي 1. يمثل مضمون جودة الحياة وفق تعريف منظمة

الصحة العالمية (WHO)

إن القراءة الأولية في هذا الرسم التوضيحي تقودنا إلى إمكانية فرز العوامل المترابطة لجودة الحياة. ويمكن اعتبار تلك العوامل بمثابة عوامل خفية يمكن دراستها وفق التحليلين العملي الاستكشافي أو التوكيدي. وتمثل تلك العوامل في مجال الصحة العامة والصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية والجانب الثقافي والتربوي والمجال المتعلق بفعالية الفرد إزاء محيطه بشكل عام، وإن شئنا الأجرأة لتلك الفعالية يمكن اعتماد متغير "تدبير الوقت" كمؤشر محدد وقابل للقياس وعنصر يملكه كل فرد حق التصرف فيه.

* النتائج ومناقشتها

لقد تعددت التحديدات لمفهوم جودة الحياة تبعاً للمنظور العلمي الذي ارتضاه كل واحد من الباحثين والدارسين. فمنهم من حصره فيما يتحقق من رفاه اقتصادي واجتماعي. ومنهم من آمن بمركزية الجانب الصحي والطبيعي في تحصيل جوهر مفهوم جودة الحياة. وطائفة أخرى قصرت

والتحليل في المجال الطبي، فقد بدأت دراسات أخرى تتجه صوب التركيز على دراسة المفهوم من حيث الأبعاد الذاتية. فقد لا يتحقق لدى الفرد مستوى من الشعور بجودة الحياة بما جلبه له الرخاء الاقتصادي. بينما يتحقق ذلك عندما يقبل بظروف واقعه ونمط عيشه²¹. ويرى بعض الباحثين أن هناك معانٍ أخرى يحيل عليها مفهوم جودة الحياة كالرضا عن الحياة والوجود الأفضل والصحة السليمة. ويتغير طبعاً هذا المفهوم تبعاً لظروف الشخص الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والجمالية²². كما يمكن النظر في تحديد مفهوم جودة الحياة والذي صاغته منظمة الصحة العالمية (World Health Organization)، إذ عرفت جودة الحياة على أنها: "إدراك الفرد لوضعه في الحياة ومدى تطابق قيمه وثقافته مع أهدافه وتوقعاته واهتماماته بالصحة البدنية والحالة النفسية واستقلاليته وعلاقاته الاجتماعية ومعتقداته الشخصية وعلاقته بالبيئة بصفة عامة"²³. ويمكن التمثيل لمضمون التعريف من خلال الشكل التالي (ينظر الرسم التوضيحي 1)

²³ « WHOQOL », World Health Organization, consulté le 29 décembre 2022, <https://www.who.int/tools/whoqol>.

²¹ محمد بوحجي، مريم الجالهمة، et جميلة السلطان، رعائتنا الصحية خياراً لنا.. مساراتنا.. قراراتنا، (1) éd. ^{re}البحرين: إخراج وطباعة جامعة البحرين. (s. d.),
²² بنت عبد الله الشريف، جودة الحياة لدى مرضى السكري.

التخصصات. لكن يمكن الاستعانة بما عند صياغة التعريف الإجمالي. وبناء على ذلك يمكن أن نعول على جوانب من التعريفات السابقة بما في ذلك تعريف منظمة الصحة العالمية وذلك بنوع من التصرف الذي يناسب خصوصية الشرائح الاجتماعية والفئات العمرية خاصة في البلدان النامية كدول الشمال الإفريقي وأقطار الشرق العربي الإسلامي. ولكي يأخذ التعريف طابعه الإجمالي ينبغي عدم الاقتصار على مضمون جودة الحياة، بل سيتم ذلك من خلال دراسة مجالاته تجنبا للتعميم ورغبة في تحقيق مبدأي البساطة والوضوح كما هو مقترح في الرسم التوضيحي (ينظر الرسم التوضيحي 2):



رسم توضيحي 2 يوضح المجالات الخمسة التي يمكن اعتمادها في التحديد الإجمالي لجودة الحياة

* خاتمة

حاولت هذه الدراسة أن تقرب إلى القارئ مفهوم جودة الحياة بشكل مبسط انطلق فيه الباحث من تحديد لغوي واصطلاحي دون تقصير محل أو تطويل ممل. كما نهج الباحث الأسلوب ذاته في استدعاء المقاربات العلمية ذات الصلة بمفهوم جودة الحياة مع التركيز على مقاربات تنهل من العلوم الإنسانية. وتبقى هذه الدراسة فاتحة لبحث جديد خاصة الدراسات الميدانية، من خلال اعتماد مفهوم إجمالي لمفهوم جودة الحياة يقوم على أساس مراعاة الشروط الموضوعية والذاتية لعينة الدراسة.

النظر في المفهوم وجعلت من التربية والتكوين قطب رحاه. وآخرون اعتمدوا عينة الدراسة أو الفئة المستهدفة في الدرس الميداني بغرض دراسة هذا المفهوم. ومنهم من ركز على ضرورة استحضار البعد الذاتي في معالجة مفهوم جودة الحياة. والملاحظ أن مختلف هذه التحديدات لا تتمتع بالترابط والتناسق فيما بينها. وقد يعزى أمر ذلك إلى أن ثمة مشكلة تتعلق بندرة العمل أو البحث الجماعي في إطار فريق أو مركز بحثي أو هيئة علمية. ومن الخشية أن يؤخذ بواحد من هذه التعريفات التي قد تفتقد لطابع التأسيس والبناء، مادام الأمر يتطلب الموازنة بين مجموعة من المقاربات العلمية لحقل جودة الحياة. وفي المقابل يمكن الاستئناس بالاشتغال العلمي من لدن بعض الهيئات أو المؤسسات على هذا الموضوع، وإن كان هذا الاشتغال هو الآخر لا يخلو من توجه ما قد تحكمه رؤى معينة. والراجح أنه قد تقل الخشية لما يتبنى باحث ما تعريفا أو تصورا وضعه فريق أو هيئة علمية ذات وضع اعتباري كما هو الشأن بالنسبة لتعريف منظمة الصحة العالمية. حيث يبدو هذا التعريف متسما بالطابع الشمولي. إذ حاول جرد أكثر ما يمكن من العناصر المتعلقة بمفهوم جودة الحياة. والملاحظ أنه يعكس تقييم الفرد الذاتي لمفهوم جودة الحياة وأهمية السياق الثقافي والاجتماعي والبيئي. أي هيمنة الجانب الذاتي على الجانب الموضوعي. ويتحدد المفهوم الإجمالي لجودة الحياة بناء على التحديدات المفهومية السابقة من جهة، وعلى ضوء الدراسات السابقة من جهة ثانية. فمفهوم جودة الحياة في عموم له بعد ذاتي وآخر موضوعي. وبالتالي يجب أن يتضمن التعريف الإجمالي أحدهما على الأقل أو كليهما. كما أن التعريفات والتحديدات التي تم جردها تبقى مرتبطة إلى حد ما بذات صاحبها، سيما وأن المفهوم قد كثر تداوله في مجموعة من

* المراجع

أولاً- المراجع العربية

القرآن الكريم برواية الإمام ورش

ابن منظور، جمال الدين. لسان العرب. 1. Vol. re éd.

1. تونس: الدار المتوسطة للنشر والتوزيع،

2005.

بكر، جوان إسماعيل. جودة الحياة وعلاقتها بالانتماء والقبول

الاجتماعيين. دار الحامد للنشر والتوزيع، 2013.

بنت عبد الله الشريف، عيبر. جودة الحياة لدى مرضى

السكري. 1. re éd. الجيزة: أطلس للنشر والإنتاج

الإعلامي، 2017.

بوحمي، محمد، مريم الجالهمة، et جميلة السلطان. رعايتنا

الصحية خياراتنا.. مساراتنا.. قراراتنا. 1. re éd.

البحرين: إخراج وطباعة جامعة البحرين، s. d.

جبران، مسعود. معجم الرائد في اللغة والإعلام. 1. re éd.

بيروت: دار العلم للملايين، 2003.

حجازي، مصطفى. الصحة النفسية. 2. e éd. الدار البيضاء:

المركز الثقافي العربي، s. d.

خلف حمدان، محمد حلمي. قياس جودة الحياة لدى

الأشخاص ذوي الإعاقة، وتأثير بعض المتغيرات

الديموغرافية عليها. مصر: دار نشر يسطرون،

2018.

الزاوي، الطاهر أحمد. مختار القاموس. الدار العربية للكتاب،

1983.

زهران، حامد عبد السلام. الصحة النفسية والعلاج النفسي.

4. e éd. القاهرة: عالم الكتب، 2005.

الشرقي، عبد الحليم. «الوظائف السيكلوجية للدين في حياة

الإنسان المعاصر». المجلة الدولية لنشر البحوث

والدراسات 4. 241-54. (2022): no 37,

<https://doi.org/doi.org/10.52133>

[/ijrsp.v4.37.19](https://doi.org/doi.org/10.52133/ijrsp.v4.37.19).

الشرقي، عبد الحليم. التدين وتأثيره في جودة الحياة دراسة

ميدانية. جامعة سيدي محمد بن عبد الله سايس،

فاس: رسالة دكتوراة غير منشورة، 2021.

طه، فرج عبد القادر. معجم علم النفس والتحليل النفسي.

1. re éd. بيروت: درا النهضة العربية للطباعة

والنشر، 2013.

الفحل، نبيل محمد. مقياس الرضا عن الحياة للمراهقين

المكفوفين. القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع،

2016.

القوصي، عبد العزيز. أسس الصحة النفسية. 4. e éd.

القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1952.

ثانياً- المراجع الأجنبية

Dictionnaire Quillet de la langue

française. Vol. 4. 4 vol. Paris :

Librairie Aristide Quillet, 1975.

Rosenberg, Raben. « Health-Related

Quality of Life between

Naturalism and Hermeneutics ».

Social Science & Medicine,

Quality of Life in Social Science

and Medicine, 41, no 10 (1

novembre 1995): 1411-15.

[https://doi.org/10.1016/0277-](https://doi.org/10.1016/0277-9536(95)00123-O)

[9536\(95\)00123-O](https://doi.org/10.1016/0277-9536(95)00123-O).

Veenhoven, Ruut. Conditions of happiness. Springer Science & Business Media, 2013.

World Health Organization. « WHOQOL ». Consulté le 29 décembre 2022.
<https://www.who.int/tools/whoqol>.